تعقيب على مقال «العزلة الاجتماعية داء العصر الرقمي»



يدقّ الكاتب خالد صلاح حنفي، في عدد مجلة العربي رقم 734 (يناير 2020) ناقوس خطر حول بعض تداعيات ثورة وسائل التواصل الاجتماعي الرقمية التي صارت هوسًا في بلادنا العربية حين ساء استعمالها واستغلالها فيما يفيد إلا قليلًا.

أُلمّ الكاتب الكريم بموضوعه، راصدًا هذه الظاهرة عبر متابعي وسائل التواصل الاجتماعي الرقمية ربّما قبل ظهورها، وعبر دراسات وأبحاث أضافت جانبًا شيقًا في تناوله، عبر إيراده عددًا من المصطلحات الحيوية، حساسة المعنى، مثل حديثه عن «رأس المال الاجتماعي»، وافتقار البشرية إليه ليكون ضمن أعراضه الجانبية العزلة الاجتماعية بآثارها البدنية والعقلية والعاطفية الوخيمة، علاوة على الخلل الحياتي المتمثّل في العوارض الصحيّة التي خلت قبلًا فيمن سبقنا من أجيال قريبة ليصدُق فيها قول القائل «رمتني بدائها وانسلّت»، نعم انسلّت وقد خلّفت وراءها عزلة اجتماعية وتناقصًا في التواصل والتلاحم الإنساني، حيث تظل المجتمعات أحوج ما تكون إليه الآن، في ظل طغيان المادية؛ فهل كان ينقصنا بجوار طغيان المادية المجحفة أن نعاني أنيميا حادة في التواصل



والتلاحم الإنساني، متمثّلة في عزلة اجتماعية رقمية؟!

تقول سيري توركت، صاحبة كتاب «وحدنا جميعًا»، بأنه «قد يكون لدينا خيار العمل والتواصل من أي مكان، لكنّنا معرّضون أيضًا لأن نكون وحيدين في كل مكان. نحن نتطلع إلى التكنولوجيا لملء الفراغ، لكن كلّما تقدمت التكنولوجيا، تراجعت حياتنا العاطفية والاجتماعية».

وفي سلسلة من مقالات على مدوّنته، وتحت عنوان «العيش كصورة» وعن واحد من أوسع شبكات التواصل الاجتماعي يتساءل المدون طوني صغبيني عما إذا كانت هذه الشبكة من وسائل التواصل الاجتماعي تجعلة أكثر تعاسة؟!

سلسلة مقالات يبدأها بحقيقة مرّة يقرّها ألبرت أينشتاين حين يقرر أنّه «أصبح من الواضح جدًا أن تكنولوجيتنا قد تخطّت إنسانيتنا»!

نعم لقد باتت لوسائل التواصل الرقمية - مع الأسف - سطوة تمارسها على حياتنا الاجتماعية، أحد زملائي في العمل له على واحد من مواقع التواصل الاجتماعي حسابات تزيد على سبعة؟! وهو إنسان حظّه من الثقافة عادي، لكنّه لا يغادر هذه الحسابات يوميًا قبل الثانية فجرًا على الأقل، لا يقضيها إلا في تصفّح المنشورات وكتابة التعليقات وإنفاق «اللايكات» بسخاء منقطع النظير!

لقد أخذت شبكات التواصل الاجتماعي هذه منّا الكثير، وحسبنا منها أنها جعلت منّا أفرادًا منفصلين اجتماعيًا، حيث شجّعت على العزلة وعلى تخفيض التفاعل الإنساني المطلوب في حياتنا إلى درجة مخيفة، ناهيك بما ألحقته بالأسرة، لبنة المجتمع وصمام أمانه واستقراره.

قرأتُ عبر واحدة من هذه الشبكات عمّا فعلته هذه الشبكة من تفكيك لبنية البيت المتماسك، حين قصّت زوجة أن زوجها لم يقدّم لها وردة حمراء اعترافًا منه بفضلها، حيث إن راتبها ضعف راتبه، لذا يقوم البيت على إنفاقها أكثر من إنفاقه بحُكم هذا الأمر، وتطلب المشورة، ماذا تفعل حيال هذا الواقع؟

وهنا توالت التعليقات، بعدما تساءلت عن كيفية



تصرّفها معه، ومع نكران جميلها - على حد تعبيرها - وراحت التعليقات تكيل اللوم لهذا الزوج، وازدادت هذه التعليقات سخونة حتى أوصلتها إلى مواجهته، أي الزوج، وتذكيره بجميلها وفضلها، حتى وجدت نفسها مشحونة ومدفوعة لتعنّفه وتذكّره بفضلها وإسهامها، وأنه لولاها لانهار البيت، فأقرّ الزوج بفضلها وحُسن تدبيرها وإنفاقها، حتى قال إنه مطمئن كل الاطمئنان إلى أن هناك من يأتمنها على بيته وأولاده تحت أي ظرف، واعتذر لها عن سوء تقديره، ومقررًا أنه سيعفيها من المساهمة في الإنفاق على البيت، وسيبحث عن عمل إضافي يخفف من الضغط المالي عليها.

تقول الزوجة إنها لم تشاهد زوجها منكسرًا مثلما شاهدته هذه المرة، وانصرف كلاهما إلى النوم، وحين راحت توقظه صباحًا فوجئت بأنه قد مات! فراحت تتأسف لما فعلته، حيث استجابت للتحريض، بعدما قصّت بعضًا من مشاكل بيتها الصغير على شبكات التواصل الاجتماعي.

ولك أن تقارن الفرق الشاسع والبَون الواسع بين ما فعلته شبكات التواصل بهذه السيدة وزوجها، وبين ما أحدثه الأستاذ عبدالوهاب مطاوع - يرحمه الله - صاحب القلم الرحيم عبر بريد «الأهرام»، حين كان يتصدّى للمشكلات الاجتماعية، وكيف أنّه كان سببًا في أن يرسو بمئات الأسر التي كادت تعصف بها رياح المشكلات الاجتماعية في أتون المهالك والضياع، إلى برّ الأمان.

هي إضاءة اجتماعية من الأهمية بمكان تُحسب للكاتب الكريم، إذ تناولها بهذا الطرح الفعّال، وتضيف رصيدًا جديدًا إلى مجلة العربي واستحقاقاتها، وتفتح المجال لمشاركات فعّالة أكثر عن هذه الظاهرة الخطيرة التي تلامس مجتمعاتنا في خصيصة من أهم الخصائص الاجتماعية ■

ياسر عرفة توفيق / مصر

